

خطبة الجمعة - الخطبة ١٠١٨ : خ١: الجهاد في الإسلام بأشكاله المختلفة - خ٢ : كيف نعد العدة لأعدائنا .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٦-٠٨-٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمه، ونسعي به ونسترشد، ونعود به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مصل له، ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عين بنظر، أو سمعت أذن بخبر، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه، وعلى ذريته ومن والاه، ومن تبعهم أجمعين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمنا، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يسمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن حول الشهوات إلى جناتقربات.

الإضافة على الدين تفريق وفتنة واقتتال، والمحذف منه تأخر وإذلال:

أيها الإخوة، ملخص الخطبة السابقة أن هناك خطأين قاتلين، الأول:

حينما أضفنا على الدين ما ليس منه فتفرقنا، وتشرذمنا، وترافقنا التهم، ثم تقاتلنا وسالت الدماء، حينما يضاف على الدين ما ليس منه نفترق، ونقاتل، ويغدو بأسنا بيتنا، وحينما محذف من مؤخرة الأمم



إنقلانا، وفي إضلانا، وفي إفسادنا، وفي إبادتنا، هذان الدرسان البليغان نستقيهما من تاريخ المسلمين.

وفي الخطبة السابقة بينت: أنه شاعت حكمة الله أن يجتمع أهل الإيمان مع أهل الكفر في زمان واحد، من لوازم هذا الاجتماع معركة أزلية أبدية بين الحق والباطل، ولأن في القرآن عشرات

الآيات التي تتحدث عن القتال، وتم في الخطبة السابقة بفضل الله شرح معظمها، ولأن في القرآن الكريم عشرات الآيات التي تتحدث عن الجهاد، وهي موضوع هذه الخطبة.

لذلك يتضح أن أي أمة تلغي خيار الجهاد تنتهي، لأن الطرف الآخر عندهم أبلغ من الجهاد، عندهم حرب استباقية، قبل أن نفك في أن نحاربهم يحاربوننا.

فالطرف الآخر خيار القتال، والسلق، والإذلال قائم في سياستهم، فما لم يكن خيار الجهاد عند المسلمين قائماً في خططهم فهم أمة إلى ضعف، وإلى هزيمة، وإلى ذلة، وإلى أن تنتهي ثرواتهم، ويذل أبنائهم.

أيها الإخوة الكرام، مرة ثانية، يجب أن يكون خيار الجهاد خيار أية أمة تريد الحياة، وتريد أن ترضي الله عز وجل، وتريد أن تصلك إلى دار السلام بسلام، وإذا قلنا: الجهاد فمن أجل السلام، وإذا قلنا: القتال فمن أجل السلام.

الآيات القرآنية الدالة على الجهاد:

الآلية الأولى:



وإذا قلنا:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ
وَمَنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوّ
اللَّهِ﴾

(سورة الأنفال الآية: ٦٠)

من أجل الإرهاب.

الإعداد:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾

من أجل إلغاء الإرهاب، بمفهومهم،

ومن أجل إلغاء الإذلال، إلغاء الإبادة، إلغاء الإضلال، إلغاء الإفساد.

أيها الإخوة الكرام، أنتم مع القرآن الكريم، مع كلام رب العالمين، مع كلام فضله على فضل كلام البشر، كفضل الله على خلقه.

الآية الثانية:

يقول الله عز وجل:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوُّكُمْ ﴾

(سورة البقرة)

هذه الآية في سورة البقرة، إذاً: رحمة الله لمن آمن، وهاجر بالمعنى الواسع، هجر ما نهى الله عنه، ولمن جاهد بماله، وبنفسه في سبيل الله.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نُفَاقٍ))

[مسلم]

الآية الثالثة:

﴿أَمْ حَسِيْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾

(سورة آل عمران)

هذه في سورة آل عمران، إذاً: أحد أكبر الامتحانات ما إذا حدثت نفسك في الحد الأدنى في الجهاد، من لم يجاهد ومن لم يحدث نفسه بالجهاد.

((مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَّ، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًّا فِي أَهْلِهِ فَقَدْ غَرَّ))

[متفق عليه عن زيد بن خالد]

أيها الإخوة الكرام:

الآية الرابعة:

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا أَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾

(سورة العنكبوت)

أيها الإخوة الكرام، في نهاية هذه الآيات:



﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾

(سورة العنكبوت)

أمر الله كن فيكون، وزل فيزول، ولكن أراد الله أن يعطينا هذا الشرف العظيم، بل إن الجهاد أحياناً وهو متاح لنا جميعاً، قد يكون هو الجهاد الأساسي، كما أن هناك في التعليم تعليماً أساسياً هو أصل كل الدرجات العلمية العالية.

الآية الخامسة:



يقول الله عز وجل:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَّهُمْ سُبُّلَنَا
وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

(سورة العنكبوت)

جاهد نفسه عرفها بربها، ألمتها أن تجلس على ركبتيها في المسجد لسماع درس علم، حملها على طاعة الله، ضبط جوارحه، ضبط لسانه، ضبط دخله، ضبط إناقه، ضبط أسرته،

ضبط زوجته، بناته، أولاده، ضبط السلوك أيام المسرات، والسلوك وقت الشدائـد،

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾

هو جهاد النفس والهوى، وهو في درجات التعليم هو الجهاد الأساسي، والذي يهزم أمام نفسه لا يستطيع أن يقابل نملة.

﴿وَلَنَبْلُونَكُمْ﴾

(سورة محمد الآية: ٣١)

الآية السادسة:

الجهاد أحد أكبر مواد الامتحان:

﴿وَلَنَبْلُونَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُو أَخْبَارَكُمْ﴾

(سورة محمد)

كيف يقف الإنسان، هناك من يبدل ويضحـي، وهناك من يجبن، ويبعد ،

﴿وَلَنَبْلُونَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُو أَخْبَارَكُمْ﴾

مرة ضربت مثلاً: زلزال وقع في بلد عربي، الأطباء في المستشفيات بعضهم ولـى هارباً نحو منطقة نائية عن منطقة الزلزال، وبعضهم عمل ٢٤ لخدمة المرضى والمصابين، هذا الزلزال زلزال الأطباء، لأنـه فرـزـهم.

﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَاجِرَ وَتَظَنُّونَ
بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَّا لَكَ ابْنَتِي الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾

(سورة الأحزاب)

أيها الإخوة، كان امتحان الله عز وجل الأول أنه قوى الكافر، وقوى الكافر حتى ظن الكافر إلهه، وعده أناس من دون الله، ورأوا أن عطاءه هو الفوز وأن غضبه هو الشقاء، والتمس الناس رضا هذا القوي إلى أن قال ضعاف الإيمان: أين الله؟ ثم جاء الامتحان الثاني:

﴿ كَمْ مِنْ فِتَّةٍ قَلِيلَةٍ خَلَّتْ فِتَّةً كَثِيرَةً يَأْذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

(سورة البقرة)

حتى يقول الكافر، والله هناك ملحدون أمنوا، إلى أن يقول الكافر لا إله إلا الله. قرأت البارحة في صحيفة العدو أن المقاومة أذلت الجيش الإسرائيلي.

إذاً: الله له امتحان، الأول صعب جداً، حتى يقول ضعاف المؤمنين: أين الله؟ والامتحان الثاني حتى يقول الكافر: لا إله إلا الله.

إذاً:

﴿ وَلَنَبُلوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبُلُّو أَخْبَارَكُمْ ﴾
﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ ﴾

(سورة الحجرات الآية: ١٥)

إنما أداة قصر، المؤمنون هذه صفاتهم حسراً، ومن لم تكن فيهم هذه الصفات فليسوا بمؤمنين.

الآية السابعة:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾

(سورة الحجرات)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

(سورة الممتحنة الآية: ١)

لأنها آية في القرآن الكريم، إذاً هي تمثل نموذج مستمر إلى يوم القيمة.

الآية الثامنة:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخِذُوا عَدُوّي وَعَدُوكُمْ أُولَئِيَاءُ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا
جاءُكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جَهَادًا فِي سَبِيلِي
وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسْرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفِيَتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ
ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾

(سورة الممتحنة)

أن ترجو الأمان من أعداء الله، أن ترجو الحماية من أعداء الله، أن ترجو العطاء من أعداء الله، أن ترجو التنمية الاقتصادية إذا رضي عنك أعداء الله، أنت حينما تتجه لغير الله فهذا عين الشرك، ولمن يعطوننا شيئاً، يأخذون منا كل شيء دون أن نأخذ منهم شيئاً، هذا الذي قيل عن حماية لبنان من قبل دول أوربية، هل أجادهم نفعاً؟ هل تدخل أحد من الأوروبيين لحماية لبنان؟ هذا شأن الكفار، لا عهد لهم، لا ميثاق لهم، لا وعد لهم.

الآية التاسعة:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هُلْ أَدْكُمْ عَلَىٰ
تِجَارَةٍ تُنْجِيْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ *
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ
لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ
وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ
ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأَخْرَى تُحِبُّونَهَا
نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(سورة الصاف)

نحن أيها الإخوة في الحياة الدنيا الأوراق اختلطت، تداخلت أخلاق الجهاد مع أخلاق الدعوة إلى الله، أخلاق الجهاد شيء، وأخلاق الدعوة إلى الله شيء آخر، أخلاق الدعوة:
 ﴿ فِإِذَا الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَانَهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾

(سورة فصلت)

أخلاقيات الجهاد:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾

(سورة التحريم)

الآية العاشرة:

أيتها الإخوة الكرام:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾

(سورة المائدah الآية: ٣٥)

ما الوسيلة؟ لها معانٍ كثيرة، من معانيها في هذه الآية:



﴿وَجَاهُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

(سورة المائدة)

أوضح لكم أن الجهاد أنواع، وأن معظمها متاح لكل مسلم في أي مكان وأي زمان، جهاد النفس والهوى، الجهاد الدعوي:

((بلغوا عنى ولو آية))

[أخرجه أحمد والبخاري والترمذني عن ابن عمرو]

الجهاد البنائي:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ﴾

(سورة الأنفال الآية: ٦٠)

من جهاد النفس والهوى إلى الجهاد البنائي، إلى الجهاد الدعوي، هذه أنواع ثلاثة متاحة لكل مسلم في أشد الظروف صعوبة، ولا أحد يسائلك، وبقي الجهاد القتالي، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يتيح لنا جهاد تشفى به الصدور.

الآية الحادية عشرة:

أيها الإخوة الكرام:

﴿أَجَعَلْتُمْ سَقِيَةَ الْحَاجِ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتُوْنَ عِنْدَ اللَّهِ﴾

(سورة التوبه الآية: ١٩)

في الدين أعمال سهلة، لا شيء في أدائها، سهلة جداً، ولا سيما على أولي الدخل الكبير، أما أن يجاهد نفسه وهو أنه بهذه عند الله أعظم من أعمال صالحة تتم بتوفيق أو تتم بافتتاح، أن تجاهد نفسك وهو لك، وأن تجاهد في سبيل الله بمالك ونفسه هذا هو الذي عند الله في أعلى مرتبة.

الآية الثانية عشرة:

﴿انْفَرُوا خَفَافاً وَثِقَالاً﴾

(سورة التوبه الآية: ٤١)

الشباب مدعوون، والشيوخ مدعوون إلى الجهاد.

﴿وَجَاهُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

(سورة التوبه)

الآية الثالثة عشرة:

أيها الإخوة:

﴿ فَرِحَ الْمُخْلَفُونَ بِمَقْعِدِهِمْ خَلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ * فَلَيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلَيُبَكِّرُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

(سورة التوبة)

الآية الرابعة عشرة:

أيها الإخوة الكرام:

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فَتَنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

(سورة النحل)

أيها الإخوة الكرام، بقيت آيتان متعلقتان بالجهاد:

الآية الخامسة عشرة:

﴿ وَجَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾

(سورة الحج الآية: ٧٨)

كن طموحاً، كن من أولي العزم.

﴿ وَجَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاهُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلْهَةً أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاکُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلٍ وَفِي هَذَا لِيُکُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَاقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتُّو الزَّكَّةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾

(سورة الحج الآية: ٧٨)

أنتم أمّة وسط، أي وسطاء بين الله وبين خلقه.

﴿ فَاقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتُّو الزَّكَّةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾

(سورة الحج)

الجهاد الدعوي:

أما الجهاد الدعوي المناهج لكل مسلم فقال تعالى:

﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدُهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾

(سورة الفرقان)

درسان مهمان مستفدان من الهجرة النبوية:

أيها الإخوة الكرام، مرت قبل أسبوع ذكرى الهجرة النبوية، ولا شك أن وقائع الهجرة سمعها المسلمين من عشرات السنين، ولا شيء جديد فيها، ولكن الشيء الذي ينبغي أن نستبطنه من هذه الذكرى دروس عديدة، في مقدمتها درسان بليغان.

الدرس الأول: الأخذ بالأسباب من تمام التوكل:



أن النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو سيد الخلق، وحبيب الحق، وسيد ولد آدم النبي عليه الصلاة والسلام أول خلق الله رتبة، وخاتم أنبياء الله، هذا الذي بلغ سدرة المنتهى، هو أحق الناس بنصر الله، لأنه بلغ قمة الكمال البشري، ومع ذلك لم يفرط قيد أئملاه في أخذ أسباب الجهاد.

لذلك الفهم للتوكيل فهم عميق جداً، يجب أن تأخذ بالأسباب، وكأنها كل شيء، ثم تتوكل على الله، وكأنها ليست بشيء.

شيء دقيق جداً، اتجه مساحلاً بخلاف الاتجاه نحو المدينة، قبع في الغار أياماً ثلاثة، هيأ من يأتيه بالزاد، هيأ من يمحو الآثار، هيأ من يأتي له بالأخبار، اختار دليلاً رجح فيه الخبرة على الولاء، ما من ثغرة يمكن أن يفاجئ بها إلا وأغلقها، لكن الشيء الذي لا يصدق أنهم في النهاية وصلوا إليه، ليكون الوصول إليه امتحاناً له، في أن اعتماده لم يكون على هذه الأسباب بل على مسبب الأسباب.

((يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنَّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا))

[منفق عليه]

يمكن أن أصوغ هذه الخبرة العالية بما يلي: من أجل أن تنتصر، يجب أن تأخذ بالأسباب، وكأنها كل شيء، ومن أجل أن تنتصر ينبغي أن تتوكل على الله، وكأنها ليست بشيء هذا أبلغ درس في الإسراء والمعراج.



لابد أن تأخذ بالأسباب وتعالج المرض

عد العدة لأعدائنا.

يجب أن تدرس لتنال الدرجة الأولى، وبعد أن تأتي بالأسباب نقول: يا رب، أسلك التوفيق، والنجاح، اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا.

يجب أن تراجع مركبتك قبل السفر، ومن أعماق أعماقك تقول: يا رب، أنت الحافظ.

يجب أن تعالج ابنك عند أعلى طبيب، وأن تعطيه الدواء بالتمام والكمال، ومن أعماق أعماق قلبك تقول: يا رب، أنت الشافي.

شيء دقيق، من أخذ بالأسباب، واعتمد عليها فقد أشرك، ومن لم يأخذ بالأسباب فقد عصا، يجب أن تأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء، ويجب أن تعتمد على الله وكأنها ليست بشيء.

هذا درس أول من دروس الهجرة، المسلمين لا يأخذون بالأسباب، يتواكلون على الله، سيدنا عمر سأل أنساً يتكلفون في الحج: <من أنتم؟ قالوا: نحن المتواكلون، قال: كذبتم، المتوكل من أقوى حبة في الأرض ثم توكل على الله>.

يا أخ العرب، ما تفعل بهذا الجمل الأجرب؟ قال: أدعوا الله أن أشفيه، قال: هلا جعلت مع الدعاء قطراناً؟.

النبي عليه الصلاة والسلام في معركة بدر ظل يدعوا الله حتى سقط رداءه، فقال له الصديق، وقد أراد أن يطمئن، بعض مناشدتك لربك، إن الله سينصرك، لماذا كان يدعوا؟ كان يخاف أن يكون قد قصر في أخذ الأسباب، لذلك لما جاءوا إليه في الغار كان اعتماده لا على الأسباب من أنتم؟ بل على مسبب الأسباب، فقال:

((يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما))

والله أيها الإخوة، هذا الدرس يحتاجه المسلمون اليوم، انظر إلى الأعداء كيف يأخذون بالأسباب، ويعتمدون عليها فتلهم ثلاثة قليلة، انظر إلى هذه الثلاثة، أنا في رأيي لقد أخذت بالأسباب بأعلى درجة، إلى درجة أنها أذهلت العالم كله، بالتطهير، والدقّة، والاتصالات، والقيادة، ونصب الأفخاخ، وقد أعدوا لكل مفاجأة عدتها، هكذا الإيمان وبعده كما سمعت أنهم طوال الليل يصلون، ويدعون الله عز وجل، هذا هو سر النجاح، ومنهج الإسلام منهج موضوعي، لو أخذ به ملحد لقطف ثماره، أن تأخذ بالأسباب، وكأنها كل شيء، ثم توكل على الله، وكأنها ليست بشيء. أيها الإخوة الكرام، هذا هو الدرس الأول.

الدرس الثاني: الهجرة من موطن الشهوات المغرية:

أيها الإخوة، الهجرة أن تنتقل من بلاد يتقن الأعداء في إذلال المؤمنين، إلى بلاد يمكن أن تقim فيها شعائر الدين، يجب أن تغادر من بلد لا تستطيع أن تقim فيها شعائر الله أنت فيها مستضعف، ومن أدق أنواع الاستضعف استضعف قمعي، أو استضعف نفسي قد تكون في بلد المعاصي كلها بين يديك، مغريّة إغراء لا حدود له، بأقل ثمن تصل إلى أكبر معصية، وإلى أكبر فاحشة،

بل إن الزنا عندهم كثرة ماء، في هذه البلاد أنت مستضعف، لا أمام قوة قمعية، بل أمام شهوات تطغى عليك، وتسقط، يجب أن تهاجر من هذا البلد الذي تكون فيه ضعيفاً أمام شهواتك، أو من بلد آخر يمنعك أن تؤدي شعائر الله.

﴿قَالُوا فِيمَا كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتَهَاجِرُوا فِيهَا﴾

(سورة النساء الآية: ٩٧)

يجب على الإنسان أن ينتقل من بلد لا يستطيع أن يقيم فيه شعائر الله، ولا أن يضبط بناته إلى بلد يقيم فيه شعائر الله، هذه هجرة، وأبوابها مفتحة إلى يوم القيمة. أيها الإخوة الكرام، هذا الدرس البليغ:

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاءِ وَالْعَشَيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطْعِنْ مَنْ أَغْفَلَنَا قُلْبُهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾

(سورة الكهف)

لزوم جماعة المسلمين :



أيها الإخوة، يجب أن تلزم المؤمنين، يجب أن تلزم جماعة المؤمنين، يجب أن تعيش في بيئه إيمانية، يجب أن تكون مع المؤمنين.

((لا تصاحب إلا مؤمنا، ولا يأكل

طعامك إلا تقى))

[أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذى، وأبن حبان، والحاكم، عن أبي سعيد [وهذا الانضمام إلى المؤمنين قوة.

((يد الله مع الجماعة))

[رواه الحكيم وابن حرير عن ابن عمر]

((يد الله على الجماعة))

[أخرجه الترمذى عن ابن عباس]

((عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، فإنما يأكل الذئب من القنم القاصية))

[أخرجه أحمد في مسنده والترمذى والحاكم عن عمر]

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمٌ أَنفُسُهُمْ قَالُوا فِيمَا كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتَهَاجِرُوا فِيهَا ﴾

(سورة النساء الآية: ٩٧)

فالمعنى الأول أن تأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء، والمعنى الثاني أن تتوكل على الله وكأنها ليست بشيء.

وهذا درس بلغ يحتاجه المسلمون في محنهم الشديدة، وفي قوة أعدائهم، وجزء كبير من قوة أعدائهم ضعفهم، لعل الخطاب الديني لم يكن ناجحاً، ولعل ثقفي هذا الخطاب لم يكن عملياً، ولعل فهم الدين كان مشوشًا، لذلك الناس لم يقطفوا ثمار الدين إطلاقاً، الدين أصبح عبئاً عليهم، كله محركات، ولا ثمرة هناك، فلذلك يتأسوا، فلما



قاربوا من اليأس أدهم الله بدفعه روحية، فكان الله عز وجل يقول للMuslimين: أنا موجود، لا تيأسوا، الأمر بيدي، وسأريك بعض الآيات، الأمر بيدي الله. أيها الإخوة الكرام، نحن بحاجة إلى قوة الإيمان، وبحاجة إلى أن ندع الأوهام ، وبحاجة إلى أن نصطلح مع الله، وبحاجة إلى أن ندعوا الله.

﴿ قُلْ مَا يَعْبُدُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً ﴾

(سورة الفرقان)

أيها الإخوة الكرام، حاسبو أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخاذل حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هوها، وتمنى على الله الأماني.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

آيتان مهمتان عليهما مدار الهجرة والجهاد:

إخوتنا الكرام، في الخطبة الثانية آيتان مهمتان جداً.

الأية الأولى:

الأولى ذكرتها في الخطبة السابقة:
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أُولَئِيَاءُ بَعْضٍ﴾

(سورة الأنفال الآية: ٧٢)

الشيء الذي يلفت النظر:

﴿وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أُولَئِيَاءُ بَعْضٍ﴾

يتاونون، يأترون، يخططون لخمسين عام قادمة،

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أُولَئِيَاءُ بَعْضٍ﴾

﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾

(سورة الأنفال الآية: ٧٣)

ضمير، الهاء على من يعود؟ قال علماء التفسير: على الآية الأولى، يعني إن لم تؤمنوا، وإن لم تهاجروا، وتجاهدوا بأموالكم وأنفسكم، وإن لم تؤروا، وإن لم تتصروا:
﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾

هل بعد هذا الفساد من فساد؟ في كل بيت نادٍ ليٰ، هل هناك فتاة في تاريخ البشرية تظهر في الطريق كما تظهر الآن؟ هل هناك من فساد؟.
أيها الإخوة الكرام، هذا إنذار من الله،

﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾

والله الذي لا إله إلا هو، إن خطر الإعلام أخطر من الجيوش، والله بملائين المرات هذا الإعلام يغدك عن أن تفعل شيئاً، يُبيسك، تارةً نحاف، تارةً نطمئن، تارةً نرى الدنيا هي كل شيء، تارةً نرى التنمية إليها يبعد من دون الله، تارةً نرى أن العالم مقدم على فقر ماحق، لأن الموارد ليست بعده البشر، تارةً من ٨٦ إنساناً ماتوا بأنفلونزا الطيور، يجعلون من هذا المرض وباء العصر، يخيفون الناس، خمس مليارات دولار خسارة مصر حينما أحجم الناس عن أكل الدجاج، حرب إعلامية فقط، الإعلام الآن أكبر سلاح.

لذلك المؤمن ينبغي ألا يتاثر بهذا الإعلام، النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ
وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكِبَرِ))

[رواه أبو داود عن عوف بن مالك رضي الله عنه]

أن تستسلم، أن تقول: انتهينا، أعداءنا عندهم أسلحة لا تقابل، هذا الجيش الذي قيل: السادس في العالم، وقد قيل: الثالث بالعالم تستطيع ثلاثة أن تذله، يجعل أنفه في التراب.
أيها الإخوة:

((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُلْوُمُ عَلَى الْعَجْزِ، وَكَنْ عَلَيْكَ بِالْكَيْسِ، فَإِذَا غَلَبَ أَمْرٌ فَقُلْ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ))

لا يمكن أن تقبل منك كلمة:

((حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ))

إلا إذا بذلت ما في الوسع، وبعدئذ تقول هذه الكلمة، هذه هي الآية الأولى التي ينبغي أن نعلق عليها الآمال.

الآية الثانية:

أما الآية الثانية التي ذكرتها في طيات الخطبة الأولى فيها وعيد خطير:

((إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمٍ أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ))

(سورة النساء الآية: ٩٧)

وذكرت قبل قليل أن هناك ضعفاً أمام قوة قامعة، وهناك ضعف أمام شهوات دافعة إلى المعصية، لذلك قالوا:

((قَالُوا أَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاعَتْ مَصِيرًا * إِنَّ الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا))

(سورة النساء)

الدعاء:

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافينا فيمن عافت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وفنا وأصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، ولك الحمد على ما قضيت نستغرك، ونتوب إليك، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلاح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلاح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، اجعل الحياة زادًا لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، مولانا رب العالمين، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عن سواك، اللهم لا تؤمنا مكرك، ولا تهتك عنا سترك ولا تسنا ذكرك يا رب العالمين، اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام وأعز المسلمين، وخذ بيدهم لاتهم إلى ما تحب وترضى، وأذل الشرك والمشركين اللهم دمر أعداءك أعداء الدين، اجعل تدمير أعدائهم في تدبيرهم، واجعل

الدائرة تدور عليهم يا رب العالمين، اللهم وفق ولي أمرنا لما تحب وترضى، هبئ له بطانة خير
يا رب العالمين إنك على ما تشاء قادر، وبالإجابة جدير.

والحمد لله رب العالمين